المشرق

نبذة تاريخيَّة اجتماعيَّة للاب لويس شيخو اليسوعي

« اذهبوا وتلمذوا كلَّ الامم اكرزوا بالانجيل للخليقة كلها » هي الكلمة الالهيَّة التي فاه بها ابن الله قبل صعوده الى السماء ففصلت من العجائب في تقرُّب الامم ومؤاخاة الشعوب ما لم تقطع الجرد المجدَّدة وفشل عنهُ الفراصنة والقياصرة والاسكندر. تلك البذرة السماويَّة القاها المسيح بيد كنيسته في الارض وببركته ما لبثت ان ذكت

وغت واضحت دوحةً عظيمة تُظلّ باغصانها اربعة اطراف المعمور فهي هي التي نقضت ما كان من الحواجز بين الامم وألّفت القلوب المتنافرة فصار «لجمهور المؤمنين قلبٌ واحد ونفس واحدة» (اعمال ٤: ٣٢) «ليس بينهم يهوديّ ولا يونانيّ ولا ختان ولا قلف ولا اعجميّ ولا اسكوتي ولا عبدٌ ولا حرّ بل المسيح كان كلّ شيء وفي الجميع» (كولسي ٣: ١١)

لعمري لو تتبّعنا سلسلة الاجيال وتفقّدنا مفاعيل تلك الكلمة لرأيناها كما قال الرسول (عبر ٤: ١٢) «حيّةً عاملةً امضى من كلّ سيفٍ ذي حدّين نافذةً حتّى سويداء القلب». كانت الكنيسة الرومانيّة في مَهدها ورُسل المسيح في قيد الحياة وترى بولس الرسول يشكر الله على «انّ ايمان الرومانيين يُبشّر به في العالم كلّه» (رومية ١: ٨). لم يمرّ على الكنيسة ثلاثة اجيال الّا وتحطّمت امامها اصنام الامم وزالت بصليب المسيح تيجان الملوك. قامت في وجهها البدع فكسرت شوكتها. تقاطرت اليها هَمَج البرابرة من كلّ أوب وصَقع فأحنت رؤوسهم تحت نير المسيح. خرج رُسلها الى الاقطار السحيقة فحوّلوا ذئابها الى حملان وأدخلوها حظيرة الراعي الصالح في تلك القرون التي دعاها البعض بقرون الظلمة والجهل وكان الاحرى ان تُدعى اجيال البعث والنشور. ثمّ قامت في خدمة الكنيسة تلك الرهبانيّات المشبعة بروح المسيح من بندكتيين وفرنسيسيين ودومنيكان وكرمليين ويسوعيين «فغنى كلّ الارض خرج منطقهم وفي اقاصي المسكونة ذاع كلامهم» (رومية ١٠: ١٨) فكانوا اذا انتدبهم نائب المسيح لمهمّةٍ ما تسارعوا اليه في سرعة البَرق قائلين: ها نحن امامك وطوع بنانك ما لك الّا ان تأمر فحياتنا ودماؤنا موقوفة لخدمة الكنيسة ومجد الله. فيرمون بقوله شبكتهم فيصطادون البشر للخلاص (متّى ٤: ١٩)

انشاء مجمع انتشار الايمان

تلك كانت حال الكنيسة في تبشير الايمان الى اوائل القرن السابع عشر لم تتّخذ لها نظاماً رسميًّا لتدبير رسالاتها الاجنبيّة. الّا انّ في ذلك العصر كان اتّسع نطاق الرسالات. بعد ان انفتحت للكنيسة بلاد مجهولة وظهر لها عالم جديد توفّق الى اكتشافه كولومبوس احد ابنائها المخلصين. فتيسّرت لها سُبُل البحار وأميطت عن اليابان

والصين وجزائر الفيليبين الاستار الحاجبة لها مع توفُّر المرسلين . فلم تَرَ الكنيسة بُدًّا من اقامة مجمع خاصّ في لمّ المدائن تحت انظار الاحبار الرومانيين تُناط بهِ كلّ امور الارساليّات الاجنبيّة ويرجع اليهِ المرسلون في شؤونهم لتُعطى كلُّ فئةٍ منهم قسماً من كَرْم ربّ البيت لتفلحهُ وتستثمرهُ للحياة الابديّة

وقد شغل هذا الامر فكرَ الاحبار الرومانيين منذ اواخر القرن السادس عشر فانَّ البابا غريغوريوس الثالث عشر ثمّ اقليمنضوس الثامن وبولس الخامس وجّهوا انظارهم لتحقيق هذه الغاية وسعوا لها بعض المساعي التي لم يسمح لهم الزمان بتقريرها وتحديدها . الى ان جلس على كرسي الخلافة البطرسيّة البابا غريغوريوس الخامس عشر فعزم منذ بدء رئاستهِ على تحقيق آمال اسلافهِ . فعيَّن لذلك احد عشر كردينالاً وبعض الكهنة كان من جملتهم الاب دومنيك الوئيس العام على رهبانيّة الكرمليين لسعيه المتواتر لدى الكرسي الرسوليّ بتنظيم مجمعٍ كهذا

وكان اوّل اجتماع عقدهُ آباء المجمع المذكور الذي عُرف منذ ذاك الحين بمجمع انتشار الايمان او البروپندة (Congregatio de Propaganda Fide) وقع في ١٤ كانون الثاني من السنة ١٦٢٢ فاتّفقوا على وجوب وَضع الرسالات الاجنبيّة كلها تحت نظارة وتدبير المجمع الموما اليهِ وخصّوا يومين في الشهر للبحث في امور الرسالات وانشائها وتدبيرها وحاجاتها ويوماً ثالثاً يُطلعون فيهِ الحبر الاعظم على مفاوضاتهم وتقاريرهم ليصدّق قداستهُ على ما يراهُ منها موافقاً . وفي اليوم التالي اي ١٥ ك ٢ وجّه المجمع الى الاساقفة وكافّة رؤساء الرسالات منشوراً يفيدهم ما قرّرهُ الكرسي الرسولي من ذلك لتكون مخابراتهم مع المجمع رأساً . فسُرَّ المرسلون بهذا التدبير الذي ذلّل امامهم عدّة مصاعب كان يعتاصُ عليهم حلُّها

ومضى على ذلك خمسة اشهر ريثما تمّ انتظام المجمع الجديد ووُضعت لهُ القوانين الملائمة وتعيَّن لهُ نادٍ كبير وكتبة وعمّال وماليّة لمعاش اصحابهِ ولمساعدة الرسالات المنشأة او المنويّ انشاؤها . فنشر حينئذٍ البابا غريغوريوس براءةً رسوليّة اولّها Inscrutabili اثبت فيها المجمع المذكور وشرح كلّ ما يختصّ بهِ من تركيب ونظام وادارة امور ونعم . وعقَدَ الأمل على انَّ هذا المشروع الجليل يبعث في الرسالات الكاثوليكيّة حياةً جديدة وينهض بها الى ارج الفلاح

وكان اوّل ما رأى المجمع حاجةً ماسّةً اليهِ دَرْس المرسلين للغات الأمم التي يُرسَلون اليهـا ليبشروها بالايمان اذ لولاها لا يستطيعون ان يتباحثوا في امور الله ويشرحوا لغير المؤمنين اصول الدين المسيحيّ . وكان البابا بولس الخامس سبق ووجّه في ذلك براءةً الى رؤساء الرهبانيّات المنكبّة على اذاعة الايمان بين الشعوب الاجنبيّة فجدّد المجمع المقدّس هذه الاوامر وألحّ في ١٦ ت ١ ١٦٢٣ في تنفيذها وخصّ بين تلك اللغات العبرانيّة والكلدانيّة والعربيّة كما كان تقدّم على تدريسها في الكليّات الاوربيّة مجمعُ فينّة المسكوني سنة ١٣١١

ولم تمرّ على مجمع انتشار الايمان سنون قليلة حتّى اتّسعت دائرة اعماله وتواردت اليهِ الوف الكتابات من كلّ الاصقاع وعُرضت عليهِ المشاكل المختلفـة وأُنيطت بهِ اجلّ الامور واعظمها شأناً . فاسبغ عليهِ النعم البابا غريغوريوس مُنشئهُ ثمّ جرى على مثالهِ خلفاؤهُ اوربانوس الثامنُ ثم اسكندر السابع الى الاحبار القريبين من عهدنا حتّى اصبح في مقدّمة المجامع الرومانيّة لوفرة مآثرهِ وخدمهِ المتعدّدة التي شرّف بها الكنيسة الكاثوليكيّة في كلّ انحاء المعمور

ومما اهتمّ لهُ ائمّة الاحبار توفير ماليّة المجمع لكثرة ما يحتاج اليهِ من النفقات في انشاء الرسالات ومعاشات مرسليها ومساعدتهم في ابنيتهم من كنائس ومدارس ومستشفيات وملاجئ ومياتم . فانهم سبقوا الجميع بكرمهم ولمدّوا مجمع انتشار الايمان بمالهم الخاص وفرضوا على الكرادلة والمنصّبين في الدولـة البابويّة بمساعدات مئية يؤدّونها سنويًا . وما لبث الملوك والشرفاء واغنياء الكاثوليك ان اقتفوا بمثالهم واسرعوا الى مشاركة المرسلين في اعمالهم ونشر العمران المسيحي بين الامم المتكعة في ظلمات الوثنيّة بما أبرزوهُ عليهم من الهبات الماليّة الطائلة

وقد أُقيم في المجمع ديوان خاصّ لنظارة الماليّة وتخصيص كلّ رسالـة بنصيبها من هذه النفقات . وهي مع وفرتها لم تَفُزْ على سدّ قسم صغير من حاجات المرسلين . وقد بيّنّا في عدد سابق كيف اوحى الله الى فتاة افرنسيّة قبل مئة سنة بطريقة جديدة لمساعدة المرسلين فأُنشئت في ليون شركة الرسالات الكاثوليكيّة التي يبلـغ حاضرًا مجموع حسناتها عشرين مليوناً من الفرنكات .

وكان معظم اهتمام مجمع انتشار الايمان ان يختار للرسالات الاجنبيّة رجالاً ذوي

غيرة وتقى يكونون حيثما حلّوا كنور العالم وملح الارض اللذين ذكرهما السيد المسيح فيجذبون الشعوب الى الدين الحق بأمثالهم اكثر منهم بأقوالهم . وكثيراً ما حُظر عليهم الاختلاط بأمور السياسة او السعي بتنفيذ سلطة دولهم وشؤونها الزمنية ليقصروا همّهم على نشر الدين بكل فطنة وكلّ تؤدة ويحتملوا بصبر ما يلقونهُ في سبيل الله من النكبات بل ضروب العذابات والموت .

ولو تتبّعنا تاريخ هذه الرسالات في الثلثة القرون الاخيرة لقضينا العجب مما اتاهُ رجالها من الاعمال الاثيرة لخير الشعوب وترقيها الديني والادبي والاجتماعي . ولكل رسالة منها تاريخ مطوّل لمشاريعها وجهادها ونجاحها مع إقرار الوطنيين من كل البلاد بسموّ فضل مبشّريهم . فكم افتتحوا من دول فتحاً سلمياً وكم حطّموا من اصنام وازالوا من اوهام وكم قاسوا من مشقّات وأثقلوا بالاغلال وكم ذاق منهم مرارة الموت بألوانهِ . وكان كلامهم قد نفذ في قلوب المتنصّرين فبلغ بهم ايمانهم الى ان يشاركوا معلّميهم في ضنكهم وبلائهم واستشهادهم . وكان كلّ ذلك بفضل مجمع انتشار الايمان الذي فتح تلك الرسالات وآزرها بعنايتهِ دون مَلَل ما عدا تلك الحقبة المشئومة التي جمع فيها الجحيم قولهُ ليزحف بخيلهِ ورجلهِ على الكنيسة جمعاء مؤمّلاً خربها فأصيبت الرسالات الكاثوليكيّة في ختام القرن الثامن عشر بضربة أليمة كادت تقضي عليها . الّا انها كانت سحابة صيف ما لبث الربّ ان كشفها واخمد تلك الانواء واعاد للكنيسة مزهرها ورونقها واستأنف المجمع المقدّس عملهُ حتّى بلغت الرسالات الكاثوليكيّة بعد رَدْح من الدهر مبلغاً لم تعرفهُ القرون السابقة

ولو شئنا ان نُعدّد فرداً فرداً الرسالات التي يتولّى تدبيرها المجمع المقدّس حاضراً لاتّسع بنا الكلام . وقد ذكرنا في عددٍ سابق (ص ٤٦٠—٤٦٢) لمحةً من ترقّي الدين الكاثوليكي في القرن الاخير ولم نستوفِ ذاك الاحصاء . فانّ لمجمع انتشار الايمان اليوم خمسمائة مركز بنيف تراها بالاجمال زاهرة نامية بين مراطقة اوربّة ومشركي آسية وهَمَج افريقية واميركة واوقيانية وله في كل سنة مجموع كبير يُعدّد فيهِ تلك المراكز واعمالها ونجاحها يتصفّحهُ الكاثوليكي بكل افتخار

ولا ننسى ما نفى فضل مجمع البروپغندة على شرقنا العزيز فان قسماً كبيراً من رسالاتهِ اللاتينيّة في سوريّة وفلسطين والاناضول واليونان والعراق والعجم واليمن

منوطة بجبلهِ. واليهِ يرجع قصّادنا الرسوليّون . وكذلك امور الطوائف الشرقيّة بقيت تحت تدبيرهِ الى ان افرد لها الحبر الاعظم بيوس التاسع سنة ١٨٦٢ فرعاً خصوصيًّا في المجمع المذكور يُعنى بشؤونها . وهو الفرع الذي حوّلهُ المثلث الرحمات البابا بندكتوس الخامس عشر الى مجمع قائم بذاتهِ دعاهُ مجمع الكنيسة الشرقيّة تلطّف فاقام نفسهُ عليهِ رئيساً اعلى

وقد سُرِرنا اي سرور اذ رأينا غبطة بطريرك الطائفة المارونيّة مار الياس بطرس الحويّك الكلي الطوبى وجّه في ٨ آذار من السنة الجارية منشورًا لابناء طائفتهِ الكريمة يدعوهم الى الاشتراك بحفلات اليوبيل الثوي الثالث لانشاء مجمع انتشار الايمان التي تُقام في رومية ثلاثة ايّام قبل عيد البشارة مذكّرًا لهم « ما نالهُ الموارنة من الايادي البيضاء والمساعدات الماديّة والادبيّة من فضل المجمع المذكور حتّى انهُ يجوز القول «بانّ تاريخهم» مرتبط بنوع ما بتاريخ المجمع نفسهِ وكلّ ما عندهم من مدنيّة ورقي ومن مجد وفخر في العالمَين الدينيّ والادبيّ انّما معظم الفضل فيهِ عائد الى مجمع نشر الايمان المقدّس »

فلعمري هذا قول جديرٌ بالاعتبار ويصحّ ليس فقط عن الطائفة المارونيّة بل عن الطوائف الشرقيّة كلّها دون استثناء فانّها كلها مَدينةٌ لمجمع نشر الايمان من وجوه شتّى كما يعلم اربابُها . ولهذا قد دعا الحبر الاعظم الطيب الذكر بندكتوس الخامس عشر كل العالم الكاثوليكي الى اقامة فرائض دينيّة على نيّة ذاك المجمع في الثلثة الايّام الاولى من حزيران ونبّه عليهِ نيافة القاصد الرسولي في الثغر في منشورهِ الذي اصدرهُ في بدء الصوم الاربعيني

مدرسة انتشار الايمان

لم يقتصر الاحبار الرومانيّون نظرهم على انشاء مجمع يتولّى تدبير الرسالات المختصّة بنشر الايمان . وانّما ارادوا ايضاً ان يهيّئوا لتلك الرسالات الاجنبيّة رجالاً ذوي مقدرة وعلم واسع ونفوذ . ولعلمهم بصحّة المثل انّ الحديد بالحديد يُفلح لم يروا وسيلةً احقّ بتحقيق امانيهم ونشر الايمان في نواحي الارض من أن يقيموا مدرسةً كبيرة يتخرّج فيها في ظلّ الكرسي الرسولي وتحت نظارتهِ نخبةٌ من الشبّان

يستدعونهم من اوطانهم السحيقة ويثقفونهم بكل الآداب الدينيّة والرسوليّة وفقاً لدعوتهم حتى اذا انتهوا من دروسهم يعودون الى بلادهم فيذرون بين مواطنيهم معتقدات الدين المسيحي

فهذه الفكرة السامية والغاية الجليلة قد اخرجها الى طور العمل البابا اوربانوس الثامن خلف غريغوريوس الخامس عشر مع ما كان في تحقيقها في ذلك الزمان من المشاكل والصعوبات . وكان مهّد لهُ الطريق الى هذا المشروع رجلٌ سامي الفضل لبنانيّ الاصل جوان باطشتا ڤيڤس (M^gr G.-B. Vivès) الذي كان تقلّب في وطنهِ ثم في رومية في عدّة وظائف كنسيّة وشعر في قلبهِ بغيرة ملتهبة لدعوة غير المؤمنين الى دين المسيح فطلب لتحقيق نيّتهِ عدّة وسائط وصرف جانباً من مالهِ الى أن استقرّ فكرهُ على انشاء مدرسةٍ كبرى في رومية يترشّح فيها شبّان من البلاد النويّ تبشيرها لهذه الدعوة السامية واقتنى في خاصة الكثلكة قصرًا قديماً لسكنى اولئك الاحداث حيث جمّع نفرًا منهم

وكان البابا اوربانوس الثامن جلس في تلك الاثناء على السدّة البطرسيّة فعرف الكاهن ڤيڤس وقدّر صفاتهِ الفريدة وقدسة حياتهِ . فمثل يوماً عند اقدام الحبر الجديد وأطلعهُ على ما ألهمهُ الله لنشر الايمان المقدّس وقدّم القصر الذي اقتناهُ للكرسيّ الرسولي مع عدّة املاك كافية لمعاش ١٢ شابًا وطلب ان يكون الكل في عهدتهِ تحت نظارة مجمع البروپاغندة ويخصّص لتخريج مرسَلين من كافّة الامم الاجنبيّة يقومون بعد دروسهم الكهنوتيّة بأعباء الرسالة في اوطانهم . وكان ذلك في غرّة حزيران سنة ١٦٢٦

رأى الحبر الاعظم في هذه الموهبة اصبع الله وشكر المتبرّع بها ثمّ اخذ يهتمّ لهذا الامر مع كادلة مجمع انتشار الايمان فأثنوا على الكاهن ڤيڤس ووجدوا في عملهِ وسيلةً جديدة لتنظيم الرسالات الاجنبية وترقيتها فقضوا مع امام الاحبار اشهرًا في ترتيب المدرسة ووضع قوانينها وتذليل كلّ الصعوبات المعترضة لها وكان البابا اوربانوس في مقدّمة الذين يسعون في انشاء هذا المشروع يستنفد لهُ كلّ قواهُ الى ان تمّ لهم على ما يرغبونهُ

فكان تدشين تلك المدرسة التي عُرفت بالمدرسة الاوربانيّة في غرّة آب من

السنة ١٦٢٧ حيث اصدر إمام الاحبار براءتهُ التي بدؤها «Immortalis Dei Filius» ضمّنها الغاية من انشاء تلك المدرسة الرسوليّة وأحاط بكل نظامها وترتيبها وجعل رئيسها الاوّل المنسنيور ڤيڤس مُطرِناً غيرتهُ وفضائله السامية

كان لانشاء مدرسة البروپغندة أحسن وقع في قلوب الكاثوليك إجمالاً والمرسلين خصوصاً . فاخذوا ينتقون لها من يرونهم اهلاً لهذه المهمّة . وكان البابا اوربانوس حيناً بعد آخر يدرّ عليها الانعامات الجديدة ويتعهّدها بالهبات الواسعة ويتفقّد كل امورها الى سنة وفاتهِ في ٢٩ تموز ١٦٤٤ . وهكذا فعل بعدهُ الاحبار الرومانيّون خلفاؤهُ فاضافوا الى ذلك القصر املاكاً جديدة وشيّدوا لهُ كنيسة بديعة على اسم ملوك المجوس فصار عيدهم موسماً يحتفلون بهِ احتفالاً عظيماً . واذ كان عدد التلامذة يزداد سنةً بعد سنة يقصدون المدرسة من كلّ فجّ وصقع اصبح بعد زمن قليل ذلك القصر مع رحبهِ حرجاً ضيّقاً . وكان البابا اوربانوس اقام على المدرسة كحامٍ لها اخاهُ الكردينال انطون بربريني فلم يرَ بُدّاً من ترميمها وتوسيع ارجائها ثمّ دعا اليها تلامذةً من الكُرج والعجم والسريان والارمن والاقباط والهنود والحبش حتى تضاعف عددهم وجرى الاحبار الرومانيّون على مثال البابا اوربانوس فخصّوا مدرسة البروپغندة بكل عنايتهم . واختاروا لتعليم تلامذتها اساتذة ماهرين يلقّنونهم العلوم الدينيّة وعلم الفلسفة واللاهوت والحقّ القانونيّ والتاريخ الكنسيّ والخطابة بل اختاروا لهم معلمين لدرس لغاتهم كالعبرانيّة والسريانيّة والعربيّة والارمنيّة والبلغاريّة والقبطيّة والحبشيّة والكرديّة والفارسيّة اتّخذوا بعضهم من تلامذة المدرسة المارونيّة التي كانت أُنشئت في رومية قبل المدرسة الاوربانيّة . فهناك علّم اللغات الساميّة ابرهيم الحاقلاني ومرهج النيروني ويوسف لويس السمعاني . وظلّت المدرسة راقية في معارج الفلاح الى ان دخل الفرنسويّون رومة في عهد نابوليون الاوّل فأصيبت كغيرها بمصاب عظيم وأبطلت عدّة سنين الى ان عاد بيوس السابع ظافراً الى عاصمتهِ سنة ١٨١٤ فأحيا الرهبانيّة اليسوعيّة ثمّ اقام مدرسة انتشار الايمان من كبوتها فسلّم لمدّة تدبيرها الى الآباء اليسوعيين وتقدّم الى تلامذتها ان يدرسوا في مدرستهم الرومانيّة ريثما تتمّ للمدرسة الاوربانيّة أهبتها . ثم ما لبث ان عادت الى رونقها القديم في عهد البابا غريغوريوس السادس عشر وبيوس التاسع حتى اناف تلامذتها على المئة وهم

اليوم ١١٢ من نحو ٦٠ الى ٧٠ دولة او قطرًا يرئسهم السيد باولو جيُوبه (M^gr Paolo Giobe) بكل حكمة

وقد ميَّز نوَّاب المسيح شرقنا فخصُّوهُ بفضلهم وما اكتفوا بان يدخلوا في مدرسة انتشار الايمان اولادًا من اوطاننا الشرقيَّة ومن جميع الطوائف بل انشأوا في رومية مدارس خاصَّة افردوها لهذه الطوائف كالمدرسة المارونيَّة المستحدثة والمدرسة اليونانيَّة والمدرسة الارمنيَّة والمدرسة الحبشيَّة ومعظم طلبة هذه المدارس يذهبون صباحَ مساء الى نوادي البروپغندة فيحضرون دروسها

وكان الواجب علينا لبيان فضل مدرسة انتشار الايمان ان نعدّد أماثل الرجال الذين خرجوا منها فشرَّفوا اوطانهم بمآثرهم المتعدّدة . ولكن كيف يمكن تعداد اولئك المشاهير مع وفرتهم وتفرُّقهم في كلّ انحاء المعمور . ولو اقتصرنا فقط على من عرفت بلادنا الشرقيَّة بعظم فضلهم لاتَّسع بنا الكلام . فانهُ ليست طائفة الَّا تذكر بالافتخار كثيرًا من ابنائها الذين تخرَّجوا في ذاك الصرح العلميّ الشهير

فللارمن ثلاثة بطاركة اجلَّاء تثقَّفوا في مدرسة البروپغندة هم البطريرك ثم الكردينال انطون حسُّون والبطريرك لسطفان عزاريان وغبطة البطريرك الحالي بولس تزيان . وكذلك خرج منها بعد نهاية دروسهم نيف وخمسون مطرانًا او كاهنًا مخصّ منهم بالذكر شهيد ايمانهِ ورسول طائفتهِ في ماردين الطيّب الذكر السيّد ملكون طاز باز المتوفَّى في لومان الاستانة سنة ١٧١٦ وقد خلفهُ على كرسي ماردين خمسة اساقفة كلهم تلامذة المدرسة الاوربانيَّة ومنهم من جلس على كراسي رؤساء اساقفة حلب وخربوط وارضروم وطرابزون وموش . ومن افاضل كهنتهم القس انطون قنة الحلبي شهيد محبَّتهِ في خدمة المطعونين سنة ١٧٦٤ (المشرق ٩ [١٩٠٦] : ٣٦٤)

وكان لليونان ولجميع الطوائف التابعة للطقس البوزنطي في رومية مدرسة خاصَّة أُنشئت منذ الجيل السادس عشر ثمَّ قبعتها بعد ذلك مدرسة القديس اثناسيوس تربَّى فيها العدد الجم من اكليروس الملكيين . الَّا انَّ كثيرين ايضًا من طائفة الروم الكاثوليك استقوا من منأهل البروپغندة كجرمانوس آدم رئيس اساقفة حلب (+ ١٨٠٩) واميروسيوس عبده رئيس اساقفة الفرزل وزحله (+ ١٨٧٦) وباسيليوس حجَّار مطران حوران (+ ١٩١٦) . ومنهم كهنة علماء افاضل كالخوارنة المخلصين

يوحنا العجيمي († ١٧٨٥) وعمانويل شمّاع († ١٧٩٨) وسابا الكاتب († ١٨٢٧)

ويفتخر السريان بثلاثة من بطاركتهم تلقّنوا العلوم في مدرسة انتشار الايمان اندراوس اخيجان († ١٦٧٧) وتورلس بهنام بني († ١٨٩٧) وغبطة البطريرك الحالي السيّد المفضال افرام الثاني الرحماني. ويتباهون كذلك بستّة من اساقفتهم رضعوا في رومية افاويق العلوم اوسعهم شهرةً اسحاق بن جبير († ١٧٢١) واقليميس يوسف داود رئيس اساقفة دمشق († ١٨٩٠) وخلفهُ الحالي السيّد اقليميس ميخائيل مجّاش وديونيسيوس اقرام نقّاشة رئيس اساقفة حلب († ١٩٢١) وبعدّة كهنة ينيف عددهم على الاربعين

وقد اشتهر بين القبط الانبا رفائيل طوخي رئيس اساقفة ارسيوط (مدينة الفيّوم) ممّن تخرّجوا في رومية في القرن الثامن عشر وهو الذي عُني فيها بطبع كتب طائفتهِ في القبطية والعربيّة توفي في نيسان من السنة ١٧٧٢

وكان للكلدان حصّة كبيرة من افضال مدرسة پروپغندة. فيها درس الطيّبا الذكر البطريرك كان اليا عبو اليونان († ١٨٩٤) وعبد يشوع خيّاط († ١٨٩٩) وزهاء عشرين من الاساقفة جلس خمسةٌ منهم على كرسي سلماس آخرهم رئيس اساقفتها الحالي السيّد بطرس عزيز نزيل مصر حاضراً. وقد اشتهر منهم السيّد طيموثاوس عطّار رئيس اساقفة ماردين († ١٨٩١) وبطرس برّتتار رئيس اساقفة سعرت († ١٨٨٤) ويوحنا نتالي رئيس اساقفة آمد († ١٨٦٨) وتوما اودو رئيس اساقفة اورمية († ١٩١٨) ويوسف اودو مطران كركوك († ١٨٩٩) وخلفهُ الحالي تيودور مسيّح. ومطران زاخو الحالي طيموثاوس مقدسي هذا ما خلا عدداً عديداً من الكهنة

كان للموارنة مدرستهم الشهيرة في رومية تحت نظارة الرهبنة اليسوعيّة فلم يدخلوا مدرسة البروپغندة الّا بعد الغاء الرهبنة وسقوط المدرسة لاسيّما في القرن التاسع عشر. ففيها تخرّج بطريركهم الجليل بولس مسعد († ١٨٩٠) وغبطة البطريرك الحالي الكلي الطوبى الياس الحويّك بعد درسهِ مدّةً في غزير. ومنها ايضاً خرج الاساقفة انطون الحازن رئيس اساقفة بعلبك († ١٨٥٨) وبطرس مسعد رئيس اساقفة حماة

(† ١٨٨٠) ونعمة الله الدحداح رئيس اساقفة دمشق († ١٨٩٠) مع عدد وافر من الكهنة والرهبان الافاضل

فترى من هذا النظر الوجيز ما يُقضّى من الشكر وعرفان الجميل على طوائفنا الشرقيّة للمدرسة الاوروبانيّة . وقد جازاها الله بما رأتهُ في تلامذتها من الغيرة والاعمال الرسوليّة واحتمال النكبات في سبيل الكنيسة فمات كثيرون منهم شهداء ايمانهم وغيرتهم خصوصاً في الحرب الكونيّة الاخيرة فتشرّفت المدرسة البروپندة بشبابهم وجهادهم حتى الموت كما تشرّفت سابقاً باستشهاد رسوليها الاوّلين القديس فيدال السِّغمرنجي والطوباوي بتريك پلونكت

مطبعة البروپندة

انّ لمجمع انتشار الايمان فضلاً آخر استحقّ فيهِ شكر العالم كلّهِ فضلاً عن الكاثوليك نريد بهِ انشاء تلك المطبعة التي احرزت لها اسماً مخلّداً لدى كلّ العلماء.

وكان الداعي لنتحها مساعدة المرسلين وتلامذة مدرسة البروپندة الذين يبشّرون بالايمان في الاقطار الاجنبيّة اذ طلبوا من المجمع الكتب اللازمة لتثقيف الناشئة في تلك البلاد فشمر رؤساء المجمع ما يحول دون هذا المشروع من المصاعب الجمّة لكنّ ذلك لم يثبط عزيمتهم حبًّا بخلاص النفوس وخدمةً للعلم . فوكل الاحبار الرومانيّون امر هذه المطبعة الى الكردينال فرنسيس إنغولي الذي اتّخذ لهُ مساعدًا رجلًا ماهرًا بحفر الحروف اسمهُ فرنسيس كاپولين فاشتغل بذلك عدّة سنين فنجح بعملهِ ايّ نجاح . وتبعهُ في العمل غيرهُ من العَمَلة ذوي الحذق وحسن الذوق منهم اكليريكيّون ومنهم عالميّون اشتهر بينهم بعد مدّة اليونانيّ لاون ألاسيوس (Léon Allatius) . ثمّ جهّزوا المطبعة باحسن الادوات فما لبثت بعد زمن قليل أن أتت بأثمارها الطيّبة

وكان باكورة مطبعة البروپندة بالعربيّة تفسير التعليم المسيحيّ الواسع للكردينال بلرمينوس اليسوعي عرّبهُ الخوري حنّا الحصروني من تلامذة المدرسة المارونيّة . طُبع في سنة انشاء مدرسة البروپندة اعني ١٦٢٧ . تبعتهُ بعد حين تآليف أخرى كاجابة الراهب كوادانولوس على احمد ابن زين العابدين (١٦٣٧) ثمّ غراماطيق لاتينيّ

عربيّ للاب دومنيك دي سيلازية (١٦٣٨) ثمّ تعريب الاب الكبوشي بريسيوس لتاريخ الكردينال بارونيوس (١٦٥٣) وتعريب كتاب الاقتداء بالمسيح للاب سلستينوس الكرملي (١٦٦٣) ثمّ ترجمة الاسفار المقدّسة في العربيّة واللاتينيّة لسركيس الوزّي وتلامذة الموارنة في رومية في ثلثة مجلدات (١٦٧١) وهلمّ جرًّا

وكانت المطبعة في الوقت عينهِ تنشر التآليف الدينيّة والتهذيبيّة في عدّة لغات أخرى حتّى انّها امكنها سنة ١٦٥٦ لمّا دخلت الى رومية ملكة لسوج كريستينا ان تقدّم لها مجموعاً من القصائد في ٢٢ لغة . ولم تزل تلك المطبعة في تحسّن وازدياد حتى بلغت بوفرة مطبوعاتها واختلاف اشكالها ما لم تبلغهُ غيرها من المطابع الملكيّة . وفي مكتبتنا الشرقيّة امثلة من مطبوعاتها في البرانيّة والسامريّة والسريانيّة والكلدانيّة والعربيّة والفارسيّة والكرديّة والبرمانيّة والسنسكريتيّة والهندستانيّة والتيبتيّة والارمنيّة والقبطيّة والحبشيّة . وكلّها بحروف جميلة . ولمّا عُقد المجمع الفاتيكاني سنة ١٨٧٠ قدّم الحبر الاعظم لآباء المجمع كتاباً من مطبعة پروپغندة يحتوي الصلاة الربيّة في ٢٥٠ لغة فكفى بهذا دليلًا عن عظم هذا العمل ومنافعهِ . وفي هذه السنين الاخيرة قد جمع الاحبار الرومانيّون بين مطبعتي الفاتيكان ومطبعة مجمع انتشار الايمان تحت اسم واحد « المطبعة الفاتيكانيّة المتعدّدة اللغات » (Typographia Vaticana Polyglotta) تجاري بحُسن طبعها ووفرة مطبوعاتها اعظم المطابع الدوليّة في عواصم اوربّة

متحف مجمع البروپغندة ومكتبتهُ

ويلحق بمدرسة البروپغندة بنايتان عظيمتان خُصّت الواحدة بمكتبة المجمع والثانية بمتحفه والفضل في انشائهما كلتيهما يعود الى الكردينال اسطفان بورجيا الذي ترأس المجمع المذكور سنين طويلة في اواسط القرن الثامن عشر . فصرف عليهما كثيرًا من مالهِ الخاصّ واهداهما مجمع البروپغندة

فالمكتبة غنيّة جدًّا بالمطبوعات الاجنبيّة النادرة في سائر اللغات الشائعة في انحاء المعمور وفيها عدد وافر من مطبوعات الصين القديمة ومن المطبوعات البرانيّة الاولى ومن المجاميع العزيزة الوجود وقد تولّى ادارة هذه المكتبة احد مشاهير اليهود المرتدّين

الى النصرانيَّة الفارس بولس دراخ (Drach) وكان من اعلم زمانهِ بالتآليف والمطبوعات

امَّا المتحف فهو فريد في بابهِ يتألَّف من تُحف البلاد العديدة التي يشتغل فيها المرسلون من مواليد الطبيعة والمادن والانسجة ومصنوعات البلاد وصورها ونقودها ممَّا لا يوجد كثير منهُ في المتاحف الدوليَّة الأُخرى. وهناك عدد كبير من مخطوطات البلاد الاجنبيَّة الجامعة بين غرابة الشكل وحُسن النقوش. وقد اهدى ملوك الدول كثيراً من تلك النوادر الى الاحبار الرومانيين فاودعوها ذلك المتحف. وهناك خصوصاً شيءٌ كثير من مآثر المرسلين الدينيَّة كالرسوم والخوارط والازياء. بينها ايضاً عدد وافر من آثار اديان الشعوب واصنامهم وخرافاتهم. يُضاف اليها كثير من السلاسل وادوات العذاب المرهبة التي استشهد بها المرسلون

فمن هذا النظر الاجمالي يستطيع القرَّاء ان يدركوا ما كان لمجمع انتشار الايمان من الفضل العميم بازاء عالم الدنيا والدين. لعمري قلَّما نجد مشروعاً تواصلت هكذا مساعيهِ دون انقطاع مدَّة ثلثمائة سنة. ولذلك قد امر الحبر الاعظم بندكتوس الخامس عشر باقامة هذا العيد القرني شكراً لله تعالى عمَّا اسبغ من نعمهِ على المجمع المنوَّه بهِ ثمَّ ما افاضهُ على المرسلين من بركاتهِ فأمكنهم بمعونتهِ عزَّ وجلَّ ان يُقدموا على اعمالهم الخطيرة في تعزيز الديانة وتهذيب الافكار البشريَّة

وقد قصد الحبر الاعظم من ذلك ايضاً ان يبعث في نفوس كثيرين من الشبَّان الرغبة في مساعدة المرسلين والانتظام في سلكهم للتبشير في اقاصي البلاد فيكونوا من جملة اولئك الذين امر المسيح ان نطلبهم من ربِّ الحصاد ليرسلهم الى حصادهِ وما من احد يجهل كم هذا الحصاد وافر بليغ وكم قليلون هم الحصَدة

نعم ان مجمع انتشار الايمان قد قام في مدَّة القرون الثلثة المنصرمة باعمالٍ شريفة لم يكن للكاثوليك ان يوَّملوها باهتداء الملايين من البشر ودخولهم في حجر الكنيسة ولكن هذا قليل بالنسبة الى المليار من الوثنيين وغير المؤمنين الذين تتوق هذه الامُّ الحنون الى خلاصهم من براثن اعداء نفوسهم ولا همَّ لها الَّا ان تميط عن عقولهم حجاب الاضاليل التي تعوِّمهم وترمي بهم في بيداء الجهل والغباوة

فعلى المؤمنين اذن في مدَّة هذه الأيام التي عيَّنها الكرسيُّ الرسولي لحفلات

اليوبيل ان يرفعوا اكفّ الدعاء الى ابي الانوار ويكرّروا بايمان حيّ ما علّمنا اياهُ السيّد المسيح في صلاته الربيّة طالبين منهُ ان «يأتي ملكوتهُ» فيملك على قلوب البشر اجمعين

ولا بُدَّ ان يضيفوا الى الصلاة اعمال الغيرة ليسموا إمّا بنفسهم واما بمساعدة المشروعات الرسوليّة وراء تلك الغاية الجليلة اعني اهتداء غير المؤمنين وارشاد الضالّين «لان الله اوصى كلّ انسان بحقّ قريبهِ» (ابن سيراخ ١٧ : ١٢) . فما احراهم ان ينتظموا في شركة انتشار الايمان (la Propagation de la Foi) ويطّلعوا على نشرة الرسالات الكاثوليكيّة (les Missions Catholiques) التي تروي كلّ اسبوع اخبارهم الرسوليّة

وستقام في الثغر وفي كنائس لبنان احتفالات شائقة على هذه النيّة فنحضّ القرّاء على حضورها وربح الغفارين الممنوحة للمشتركين بها ولاسيما نوال البركة البابويّة التي ستعطى في ختامها يوم عيد العنصرة . وبمناسبة هذه الاحتفالات قد رغب قداسة الحبر الاعظم ان يتلو المؤمنون الصلاة الآتية التي نشرتها جريدة البشير في عددها الصادر في ١٦ ايّار

«يا يسوع انك لا تزال يطرق مسامعنا كلامك الالهي الذي به قابلت قلّة العمّلة مع عظم الحصاد إذ قلتَ : «ان الحصاد كثير واما العملة قليلون»

«ها قد مضت ثلاثة اجيال مذ رتّب الكرسي الرسولي عمل تبشير غير المؤمنين على طريقة منظمة ومثبتة . فغزيرةٌ هي ثمار غيرة المرسلين الذين بعثهم مجمع انتشار الايمان المقدّس الى اقطار العالم . لقد كان بذارًا للمسيحيين الدم الذي سفكهُ منذ ثلاثة اجيال ذلك البطل الباسل باكورة شهداء هذا المجمع المقدّس . ولكن كم من الشعوب لا تزال متكعكمة في ظلمات الجهل وكم من الامم تراها حتى الان جالسة في ظلال الموت . آه انها لموثرة جدًّا المقابلة بين عدد المؤمنين والعدد الاوفر من غير المؤمنين

«ان نتيجة هذه المقابلة ليس من شأنها فقط ان تزيدنا اعتبارًا لنور الايمان العجيب الذي يقودنا في سفرنا على الارض ولكن ايضاً ان تحيي فينا ذكر تلك الآية الالهية : «سألوا ربّ الحصاد ان يُرسل عملةً الى حصاده» .

«ايها السيّد انت هو ربّ ذاك الحصاد المعبَّر بهِ عن عموم سكان الارض . فنتوسّل اليك ان تُنمي عدد المرسلين وتزيدهم غيرةً وتبارك اتعابهم لكي يُثمر

بذار الكلمة الالهية الصالح ثمارًا وافرة تُجمع في الاهراء السماوية

«استجب يا رب هذه الصلاة التي تلهمنا اياها رغبتنا في ان نرى ملكوتك يمتد ويتسع

«وبما انَّ هذه الطلبة «ليأت ملكوتك» تتصاعد كل يوم من قلوبنا اكثر مما تلفظها افواهنا امنحنا القوة والثبات في القصد الذي نقدمه لك وهو ان نسعى باحسن طريقة ممكنة وبقدر ما تسمح لنا قدرتنا في مساعدة عمل انتشار الايمان المقدس آمين

الرأي العام في عثرات الاقلام

بقلم جناب الشيخ امين الجميّل

سيّدي الشيخ الاستاذ (١

قرأتُ بسرور كتابك اليّ بشأن مباحثك اللغويّة تحت عنوان «عثرات الاقلام» (٢ فسألتني عن رأيي في ما كتبتهُ. فرأيتُ في سؤال مثلك لمثلي شبهاً لما يُذكر عن الوالي الشهير الشاعر موليار اذ كان يسأل أَمَتهُ رأيها عن بعض مصنَّفاتهِ وعن وقْع اقوالهِ في أذنها

اعلم أيها العزيز انَّ «مواطنك» يفتخر بك اذ يراك عاملًا في اللغة عملَهُ في الطبّ فتنادي بالوقاية قياماً بالواجب تاركاً لغيرك ان يقوم بواجبهِ. فيقيّن بأنَّ اصلاح كلّ غلطةٍ تشير اليها يوليك علينا منَّةً جديدة

وما احقّ بصحافتنا ان تعتاد الكلام الفصيح والقول الصحيح وتنبذ كلّ وطانة

١) ابرجم منذر من شيوخ بكفيا ٢) نشرها في جريدة الوطن